جواب عن أسئلة الدكتور

محمد صالح بن عمر

السؤال الأول

صدرت مجموعتك الأولى "الأرض عطشى" سنة* 1980 أي بعد توقّف حركة الطليعة. فهل تأثّرت بتلك الحركة؟ وماذا كان موقفك منها؟

الجواب

كانت أصداء حركة الطليعة قريبة من بداياتي في – المطالعة والكتابة حيث كنت متجاوبا مع دعوتها إلى التجديد وقد وجدتُ فيها تَوقي إلى تجاوز السّائد والقديم فهي حركة شاملة في الأدب والرّسم والمسرح وحتّى في الأغنية والسّينما حيث أنّ الشباب في تلك السّنوات –سنوات أواخر السّتينيات وأوائل السبعينيات- قد يئس من الثوابت القديمة وتاق إلى الأحلام الجديدة في الحرّية والعدالة والجمال لأنّه عاش سلسلة من الهزائم والنكسات والخيبات على المستوى الوطني والعربي والعالمي. فحركة الطليعة أعتبرها مخاضا لكلّ تلك الإرهاصات التي كنت أحيا على توتّراتها. أمّا عن موقفي وقتئذ منها فلم يكن عن دراسة وتمعّن حيث أنّني كنت دون العشرين فهو إلى المتابعة والتفاعل أقرب منه إلى الفعل وردّ الفعل لكنّها تظل أهمّ المناخات التي تأثّرت بها.

السؤال الثاني

- يرى بعضهم أنّ الطليعة وإن توقّفت من حيث هي حركة (أي مجموعة من الكتّاب والشعراء يعلنون

انتماءهم إلى نزعة فنية وفكرية معيّنة) فقد اِستمرّت من حيث هي اِتجاه أدبي يقوم على التجريب والتجاوز والارتباط بالواقع التونسي وقد تجسّم استمرارُها حسب هؤلاء في تجارب بعض الكتّاب والشّعراء منهم أنت ومحمد أحمد القابسي ومنصف المزغني في الشعر. فما هو موقفك من هذا الرّأي؟

الجواب

– أوّلا أرى أنّ هذه الحركة هي أهمّ حركة في المغرب العربي بعد حركة أبي القاسم الشابي وجماعته وهي تعبير عن تجاوز أحلام الجيل الذي حقّق الاِستقلال في الخمسينيات ذلك أنّ الشّباب الذي قد تخرّج من الكليّات الوطنية قد كان يرنو إلى العالم الأوسع بعد أن اِطّلع على الثقافات الأخرى فبدأ يطرح أسئلة جديدة ليست في الكتابة والسياسة فحسب، وإنما أسئلة تشمل حتى موضوع الحبّ ومنزلة المرأة والعلاقات الأخرى في العائلة والمجتمع. إنه جيل الأسئلة الحاسمة حول التّراث وحول الحاضر والمستقبل. فكلّ شيء عنده قابل للنّقاش ولستُ على الرّأي الذي يقول إنّ حركة الطليعة قد توقّفت في أوائل السبعينيات بل إنّها ركنت إلى الهدوء والتأمّل والمراجعة إلى حين ثمّ اِستمرّت بعد ذلك واِستمرّت في البروز في مجالات النقد والقصّة والمسرح والشّعر والسينما والموسيقى والرّسم وما الأسماء النشيطة والفاعلة في السّاحة الجامعية والأدبية والثقافية عموما إلاّ ذات أصول ضاربة في تلك الحركة الرّائدة التي كان التجديد والاِختلاف من رموزها الواضحة، فهي ليست خطابا متجانسا بل كان فيها الشيء ونقيضه ولعلّ هذا ما جعلها لا تهدأ ولا تستقرّ فحراكها ذاك اِنبثق منه المدد الإبداعي الذي أضيف إليها ولعلّ أخطر مزلق وقع فيه بعض أعلامها يتمثل في الدّعوة إلى الكتابة باللّهجة التونسية بدلا عن الفصحى أمّا مقولتها في التجريب

والتجديد فقد ظلّت مستمرة إلى اليوم وهي لعَمري أهمّ مقولات تلك الحركة

السؤال الثالث

- من أهمّ المبادئ التي تبنّتنها الطليعة (1968-1972) رفض التبعية للغرب والشرق مع إمكان الإفادة من كليهما قصد بعث أدب تونسي متميّز. فما هو رأيك في هذا المبدإ؟

الجواب

– الطّريق إلى العالم يبدأ من عتبة البيت كما جاء في بعض الأمثال القديمة، وقد عاش الأدب التونسيّ طويلاً على صدى المشرق الذي نحترم فيه أصول الأدب العربيّ لكنّ هذا لا يعني أن نظلّ دائما تابعين له فتاريخ الأدب العربي علّمنا أنّه بقدر ما كان الأدب متنوّعا في المصدر بقدر ما كان مضيفًا إلى الإبداع فيه ثمّ إنّ الأدب العربي عمومًا ليس ذا لون واحد بل إنّ الأقاليم هي التي أخصبته وجدّدته في مختلف عصوره، فالحجاز والشّام والعراق وإفريقيّة والأندلس وصقليّة والبحرين واليمن وشنقيط وغيرها لها أثرها الواضح في الشّعر والنثر والنقد ضمن تاريخ الأدب العربي وأعتقد أنّه بقدر ما تتنوّع تجارب الأقطار العربيّة بقدر ما يزيد أدبنا العربي ثراءً والخطر في تماثل وتشابه التجارب هنا وهناك حتّى تصير نسخة واحدة بينما لكلّ إقليم في الوطن العربي خصائصه الواضحة، فخصائص السّودان لا نجدها في الشّام مثلاً والأدب هو ظلّ لتلك البصمات الخاصّة بكلّ إقليم. من هنا جاءت الدّعوة إلى الكتابة اِنطلاقا من البيئة التونسيّة حتّى يكون الأدب التونسيُّ صورة صادقة للحياة التونسيّة والمسألة لها أبعادها الفكريّة أيضا، فأنا من الذين يرون أنّ العروبة

في مفهومها الحضاري والإنساني لا تتناقض مع المحليّة والإقليميّة، بل تثريها وتبلورها وتجذّرها وهي كذلك لا تتناقض مع العالمية فبقدر ما يكون المبدع منطلقا من تجربته بقدر ما يكتسب تميّزه.

السؤال الرابع

*في سنة 1973 انسلخ الطّاهر الهمامي عن الطليعة الأدبية إلى الواقعيّة الاِشتراكية بكتابة خطاب موجّه إلى الجماهير العرية لغته الدّارجة ومضمونه الواقع المتأزّم الذي تعيشه تلك الجماهير. فما هو تقويمك لهذا الاتجاه؟

الجواب

- منذ أن بدأت الحركة لم تكن تنطلق من قناعات واحدة وتعبيرات متماثلة برغم أنّها كانت تلتقي في الكثير من المقولات العامة في التجديد، لذلك من الطبيعي أن تحدث بينها الأزمات والاِنشقاقات، فالأدب لا يحتمل الاِنضباط على أنّ الطاهر الهمامي أراد أن يقوم بمنعرج حاسم في تجربته الشعرية عندما كتب بعض النصوص بالدّارجة لكنّها حسب رأيي لا ترتقي إلى مستوى الشعر الشعبي وهي دون نصوصه بالعربيّة الفصحى أيضا ولعلّها تجربة عرف بها حدوده فلم يواصلها على أنّ الكتابة بالدّارجة ليست بسيطة لأنّ الأدب الشعبيّ له فنونه وإبداعاته،وليس من السّهل على المثقّف الذي تعلم وملأ وطابه بالعربية الفصحى وباللغات الأجنبية أن يسيطر على عبقرية الأدب الشعبي ويبدع فيه إلا بعد اِستيعابه ومماحكته كما أنّ المواضيع التي تعكس الواقع المتأزّم يمكن التعبير عنها بتناول لغوي وأسلوبيّ فيه الكثير من البساطة واليسر وهما من خصائص الإبداع أيضا فقيمة الكاتب تتمثل في نحته لأسلوب خاص وفي اِرتقائه باللّحظة التاريخية العابرة إلى التوهّج الدّائم!.

السؤال الخامس

- ما هي ملامح المتقبّل الذي تتمثله حين تكتب شعرك أم إنّك تكتب لنفسك ثمّ إلى الآخر في درجة

ثانية؟

الجواب

إنّ النصوص التي كتبتها وفي ذهني قارئ أو - مستمع معيّن هي من أضعف النصوص التي اِرتكبتها لأنّها محدّدة بتلك المناسبة الخاصة التي بزوالها ينكفئ النصّ ويصبح مجرد خبر على أنّ للمسألة جوانب أخرى فالقصائد المباشرة لها دور آنيٌّ ضمن التفاعلات التاريخية حيث المضمون الواضح والمباشر يكون أحيانًا هو المقصود فهي إلى الكلام العادي أقرب لكنّ قيمتها تكمن في الجهر بمضامينها ومواقفها حيث ساد الصّمت في حينها الزماني والمكاني فتكتسب بذلك قصائد المناسبات إبداع الفعل. على أنّ مثل تلك النصوص ليست كثيرة عندي وليست هي مقصد الشعر لديّ.

إنّ شاعريّة النصّ تكمن أحيانا في اِستحضار الظّروف والملابسات التي قيل فيها ويظل النص الباذخ هو الذي يتجدّد عند كل قراءة مهما توالت العصور فيصبح هو المناسبة بعد اِنقضاء مناسبته مثل بعض قصائد المتنبي وأبي فراس وابن زيدون وابن عبّاد وبعض لوحات بيكاسو في فنّ الرسم

السؤال السادس

- إنّ المتتبّع لمسيرتك الشعرية منذ بداية السبعينات إلى اليوم يلاحظ أنّ أشعارك الأولى قد غلبت عليها

النزعة المستقبليّة ثم ما لبثت هذه النزعة أن تحوّلت إلى حيرة وشكّ، فإلام يرجع هذا التغيّر؟

الجواب

- إنّه الزمن الذي على قدر ما نتقدّم فيه بقدر ما تتضاءل أحلامنا لعلّ ذلك راجع إلى الوعي بتراكم وتشابك القضايا.. في أوّل السبعينيات كنّا نظنّ أنّ الثورة الشاملة ستقع غدًا وأنّ الإنسانيّة ستحرّر من الظّلم والاِستغلال وأنّ فجر السّلام والعدالة والمحبّة آتٍ مع بزوغ الشّمس لا محالة ولكنّ لا شيء من تلك الأحلام تحقق حتى أنّ الأزمة التي عاشتها تونس على جميع المستويات كانت تتعقّد من يوم إلى يوم ولم نتنفسّ الصّعداء إلاّ في نوفمبر 1987.

- ولكن بعد فوات الأوان علمنا أنّ الشعوب دائمًا هي التي تدفع الثمن باهظا وأنّ فئة قليلة هي التي تتمتّع بالمكتسبات في كلّ العصور وفي كلّ الثورات، غير أنّني مازلتُ على يقين أنّه في الإمكان أحسن ممّا كان فخيط النور ما يزال ظاهرا رغم الكوابيس والظّلمات.

السؤال السابع

- يغلب عليك الميلُ إلى المقطوعات الصغار دون القصائد الطّوال وهو ما يجعل بعضهم يتّهمك بقصر النفس فكيف تعلّل هذه الظاهرة في شعرك؟

الجواب

- القصيدة لديّ لا تُقاس بالشّبر ولا بالكيلومتر وإنّما هي وحدة موضوعيّة تامّة مستقلة بذاتها وقد تُغني اللمحة عن الإسهاب ,والإشارة عن الإطناب فذلك من أسرار البلاغة العربية التي تعتمد على الإيجاز وما البيت في القصيدة القديمة إلاّ الأساس الذي تتشكّل منه وتتنوّع.

في قصائدي القصيرة تركيز وإلماع، فهي ضربٌ من المغامرة أقول فيها أو لا اقول على أنّ هذا الشكل قد

اِستلهمته منذ أوائل السبعينات من الشعر الياباني القديم الذي قرأته في اللغة الفرنسية.

أظنّ أنّ الشعر ينسجم مع الإيجاز وأنّ الإطالة تنسجم مع السّرد.

بل لعلّ للمسألة عندي جذورها النفسيّة فإنّني لا أميل إلى الكلام كثيرًا ربّما كان هذا بسبب صعوبة النّطق في طفولتي فكنت أجد نفسي مضطرّا إلى الحدّ الأدنى من الكلمات للتعبير عن الحدّ الأقصى من المعاني.. أليس ذلك هو إكسير الشّعر؟!

السؤال الثامن

- تمتاز بحضورك المستمرّ في السّاحة الشعرية التونسيّة منذ ظهور صوتك في بداية السبعينات إلى اليوم. لكنّك لست حريصًا –فيما نرى- على فرض صوتك عربيًّا بالنشر في المشرق العربيّ. فهل المسألة مسألة اختيار أم تقوم في طريقك عوائق لتدخل السّاحة الشعرية العربية؟

الجواب

- في الثقافة العربية المعاصرة غاب منها المركز الذي يعتبر المنبر وأصبحت كلّ دولة لها مجلاّتها وصحفها ومهرجاناتها الخاصّة فأضحت التجارب العربية تينع هنا وهنالك أيضا معنى هذا أنّ الأدب العربيّ المعاصر قد تنوّعت فيه الكتابات وتعدّدت في هذا القطر وذاك بحيث بات من الصّعب متابعة ما يُنشر لذلك اِخترت أن أعمّق خطّي في بلادي وأنشر كلّما أتيحت لي الفرصة في بعض البلدان الأخرى لأنّ العمليّة تتطلب مني اللهاث وراء علاقات وشبكات ليست دائمًا تعمل لأجل الأدب.

والمسألة تتطلب تنسيق أعمال دور النشر في البلدان العربية، فالكتاب العربيّ والتونسيّ" خاصة لم يتجاوز في التوزيع الحدود الوطنية.

إنّ النّسخ والبريد والرّسائل والمجاملات الخاصّة أشياء تزعجني كثيرا وعليّ أنّ أكون جيّدا في نصوصي وعلى الأطراف الأخرى أن تقوم بمهمّاتها في النّشر والتوزيع والتعريف والنقد ثمّ إنّ في هذه البلاد التونسية تراث إبداعي هائل أعتزّ بالانتماء إليه... ثمّ الإبداع شيء والشّهرة شيء آخر!

لكنّ الذي يسرّني هو أن يعكف الدّارسون التونسيّون على تمحيص الأدب التونسي الذي يُمثّل رافدا أساسيا في الأدب العربي .

السؤال التاسع

- لُوحظ أنّك عُدتَ في السنوات الأخيرة إلى الشعر العمودي. فبمَ تفسّر هذه العودة؟

الجواب

الذّهاب كثيرًا في التجريب أوصل إلى العبثيّة - والمجانية حتى صارت كلماتٍ متقاطعةً والذّهاب كثيرًا مع أحلامنا في أواخر القرن العشرين صدمنا بعدد هائل من التراجعات والخيبات فعدتُ إلى المعمار القديم في القصيدة العربيّة بِاعتبار أنّ ذلك اِستجماع للأنفاس واِستراحة من عناء الطّريق وإثباتٌ كذلك لِانتمائي إلى أصول الشعر العربي التي يمكن أن تكون القصيدة التقليدية فيها معبّرة عن شجون العصر. إنّني نبذت فيها التقليد الجاف ولم أنف عنها روائع التجربة الحميميّة.

لذلك فعودتي هي من باب زاد المسافر الذي يُعين على مواصلة الطّريق..

صحيح قد نتراجع خطوة إلى الوراء لنتقدّم خطوتين إلى الأمام!

السؤال العاشر

- يرى بعضهم أنّ عهد المدارس والبيانات قد وَلَّى وأنّ الشعر في القرن الحادي والعشرين سيعود إلى ما كان عليه في البدء، لغة الذّات الإنسانيّة ويعني ذلك أنّ المستقبل للتجارب الفردية الحرة. فهل تشاطرهم هذا الرأي؟

الجواب

هو كذلك تماما! فقد أدبر زمن شاعر القبيلة وزمن - الشاعر الصّعلوك وزمن الشاعر المُعبّر عن المجموعة فقد اِنتشر الوعي وصار كل شخص تقريبا يعرف الخيط الأبيض من الخيط الأسود بل إن الناس في الشارع هم الشّعراء حيث الشّارع أضحى هو الشّاعر...هذا زمن القصيدة التي تُكتب بصماتها بصدق وحميمية في مكابدة الحياة...

رادس في 29 ـ 7 ـ 1996